الملتقى الوطني: التجديد في التفاسير المعاصرة -عرض ونقد- .

المنعقد يوم 17 فيفري 2020

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية

عنوان المداخلة: مقترحات التجديد المنهجي والمعرفي في التفسير التحليلي .

إعداد: الدكتور : هشام شوقي .

. chougi_19@hotmail.fr

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

مقدمة:

يعتبر التفسير التحليلي أشهر وأقدم ألوان تفسير القرآن الكريم، ولذلك فإن غالب ما كتب في العصور المتقدمة من تفاسير يصنف خلال هذا اللون، وقد اعتنى المفسرون فيه بجوانب متعددة تتعلق بمعاني كلام الله تعالى، منها ما يتعلق بالنقل ومنها ما يتعلق بالاجتهاد والرأي، وقد كان المفسرون يستفيدون في ذلك مما ذكره المتقدمون ثم يحاولون إضافة أشياء أخرى سواء في طريقة عرض ما ذكره المتقدمون، أو باستنباط معان جديدة من آيات القرآن يوظفونها في تفاسيرهم لتتناسب مع العصر الذي هم فيه فيعالجون احتياجاته بالقرآن، وهذا ما عرف في حقل الدراسات القرآنية المعاصرة بـ "التجديد في علم التفسير"، هذا التجديد الذي جاء كحاجة ملِحَّة لتلبّي متطلبات استجدَّت على المجتمع المعاصر، واتخذ طرقا متعددة تتناسب مع اللون التفسيري محل الكتابة، دون أن ترجع بالإبطال لماذكره المتقدمون .

والذي يهمنا في هذا المقام هو التجديد في مجال التفسير التحليلي، فإن المتتبع لكثير من التفاسير المتقدمة والمتأخرة وكثير من الدراسات القرآنية، يجد محاولات جادّة للتجديد في التفسير التحليلي من جهة منهج في التعامل مع التراث التفسيري الموجود، وكذلك من الجانب المعرفي المتعلق بالتفسير؛ وذلك بمحاولة اكتشاف معان جديدة للآيات القرآنية، وهذا ما أردت تسليط الضوء عليه في هذه الورقة البحثية، باقتراح مجموعة من المقترحات المتعلقة بالتجديد في التفسير التحليلي في الجانب المنهجي والمعرفي، وسيكون ذلك بالإجابة على الإشكالات والأسئلة الآتية:

– ما معنى التجديد في التفسير التحليلي؟، وما مدى مشروعيته ؟ .

– هل يمكن التجديد في التفسير التحليلي فعلا؟، وإذا كان ذلك ممكنا فما هي المقترحات المنهجية والعلمية لذلك؟.

كل هذه الأسئلة سأحاول الإجابة عليها من خلال هذه المداخلة التي جاءت بعنوان " **مقترحات التجديد المنهجي والمعرفي في التفسير التحليلي**"، والتي تدخل ضمن المحور " ..." من محاور ملتقى " التجديد في التفاسر المعاصرة – عرض ونقد–" الذي نظمة مشكورا "مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية" بجامعة الأمير عبد القادر، وقد قسمت هذه المداخلة إلى قسمتها إلى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مقدمات تمهيدية، للتعريف بالتفسير التحليلي ومعنى التجديد فيه و بيان مشروعيته .

المطلب الثاني: التجديد المنهجي: وسأتحدث فيه عن مقترحات التجديد في منهج التعامل مع فضائل السور وأسباب النزول وأسماء السور، وغيرها مما يتعلق بالتفسير التحليلي .

المطلب الثالث: التجديد المعرفي: وسأتحدث فيه عن مقترحات التجديد في الهدايات المستنبطة من الآيات .

وتفصيل هذا كله كما يلي:

المطلب الأول: مقدمات تمهيدية، للتعريف بالتفسير التحليلي ومعنى التجديد فيه و بيان مشروعيته

.

وسأتعرض في هذا المطلب للحديث عن مسائل تمهيدية للبحث، وهي: تعريف التفسير التحليلي وبيان أهم خطواته، ثم بيان معنى التجديد فيه، وأختمه بالحديث عن مشروعية التجديد من عدمه، وتفصيله:

أولا: مفهوم التفسير التحليلي:

تتكون عبارة "التفسير التحليلي" من مفردتين، نحتاج لمعرفة كلّ منهما لنصل إلى المعنى الاصطلاحي:

أما التفسير: ففي اللغة: تدور مادة "فسر" في اللّغة حول: البيان والإيضاح، ومن ذلك قولهم: فسّرت الحديث: إذا بيّنته وأوضحته[1]، قال في اللسان: "الفسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"[2] .

وأما في الاصطلاح: فقد عرّفه العلماء بتعريفات كثيرة منها:

1- تعريف أبي حيان الذي قال: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك" [3] .

2- وعرفه الزركشي أيضا فقال: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ρ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه" [4] .

3- وعرفه الدكتور: حسين الذهبي، بعد تتبّعه لكثير من هذه التعاريف فخَلُصَ إلى تعريف التفسير بقوله: "علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد"[5].

. **وأما التحليلي: ففي اللغة:** مأخوذ من حَلَلَ: وأصله: فَتَح الشيء وفَكه ونَقَضَه، قال ابن فارس: "الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يَشُذّ عنه شيء"[6]، ومنه: حَلَلْتُ العقدة: فتحتها ونقضتها، وكُلّ جامد أذيب فقد حُلّ[7] .

وأما في اصطلاح: فالتحليل هو: تحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كلّ منها [8] .

وأما المعنى الاصطلاحي: للتفسير التحليلي كمصطلح معاصر: فقد تعددت تعاريف المعاصرين له ومنها:

1- تعريف الدكتور فهد الرومي: "الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف، سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن كله، ويبيّن ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها، وأسباب نزولها، وأحكامها، ومعناها، ونحو ذلك" [1] .

---

[1] ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، (2/ 718)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (4/ 504) .

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة: فسر (55/5) .

[3] البحر المحيط، لأبي حيان (121/1) .

[4] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (13/1) .

[5] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (1/ 14) .

[6] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 20) .

[7] القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: 986) .

[8] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الحاء (1/ 194) .

2 – تعريف د: العباس الحازمي قال: "أسلوب يستخدمه المفسر لبيان كل ما يتعلق بالآية القرآنية وأجزائها مستفيداً من العلوم التي لها علاقة بالتفسير"[2] .

ثانيا: خطوات التفسير التحليلي: تمرّ عملية التفسير التحليلي بعدة خطوات مهمة هي:

1-مقدمات عن السورة أو المقطع أو الآية محل التفسير، فيما يتعلق بـ: فضلها، اسمها ومكان نزولها، عدد آياتها، موضوعها الرئيس ومحاورها الفرعية، ومقاصدها .

2-المناسبات: بكافة أنواعها: بين السورة أو الآيات وما قبلها وما بعدها .

3- أسباب النزول – إن وجدت –.

4- غريب مفردات الآية أو الآيات.

5- بيان الإعراب .

7- القراءات الواردة وتوجيهها ..

8- الناسخ والمنسوخ في الآيات .

9- المعنى الإجمالي .

10- الفوائد المستنبطة من الآية أو الآيات (عقدية أو فقهية أو تربوية)[3] .

ثالثا: تعريف التجديد في التفسير:

التجديد: لغة، من الجديد وهو ضد القديم، والتجديد هو التحديث في الشيء، وتجديدُ الشيء تجليةُ معالمه، وفي الصِّحاح "وتجدَّدَ الشيء: صار جَديداً، وأَجَدَّهُ، واسْتَجَدَّهُ، وجَدَّدَهُ، أي صيَّره جديداً"[4] .

والتجديد في التفسير يعني: "تجديد الفهم لكتاب الله تعالى على ضوء واقع المسلمين المعاصر وفق قواعد التفسير"[5].

– وعرفه محمد إبراهيم شريف أنه: "إحياء معاني القرآن الكريم ببيانها للناس، ونفي كلّ دخيل عنها، واستلهام آيات القرآن الكريم التوجيه و الهداية في كل ما يعترض حياتنا مما يمس العقيدة أو الأخلاق، أو يدخل في بناء اجتماعنا وسياستنا واقتصادنا بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاء لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات"[6].

رابعا: مشروعية التجديد في التفسير:

---

[1] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي (ص: 57) .

[2] التفسير التحليلي د: العباس الحازم، (ص: 552) .

[3] المرجع نفسه ، (ص: 560 – 561) .

[4] الصحاح في اللغة، الجوهري أبو نصر إسماعيل الجوهري الفارابي ، (ج1، ص83) .

[5] التجديد في التفسير، د: يحي الشطناوي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ص11. نقلا مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، ص389 .

[6] اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر،: محمد ابراهيم شريف، ص194، نقلا عن رسالة: التجديد في التفسير في العصر الحديث مفهومه وضوابطه واتجاهاته، دلال بنت كويران بن هويمل، ص50 .

لا يقصد بالتجديد في التفسير أن نأتي بتفسير لم يسبق إليه سابق ويترتب عليه إلغاء التفسير السابق فإن هذا لا يعد من التجديد في فتيل ولا قطمير ، وإنما هو من هدم ما بناه الأقدمون دون مناسبة داعية لذلك ولكن المقصود من التجديد هو: مواكبة التفسير لحاجات العصر وإصلاح واقع الناس وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية بآيات القرآن .

وفي هذا المعنى سأل أبو جحيفة عليا τ هل عندك عن النبي ρ شيء سوى القرآن؟، فقال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن، وما في هذه الصحيفة, قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: فكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر"[1] .

ولذلك فإن التجديد في التفسير بالمعنى السابق مشروع بلا شك، مع التنبيه إلى أن التفسير ينقسم إلى نقلي و عقلي, والتفسير النقلي لم يختلف الناس فيه إذا كان نصا في تفسير الآية، أما إذا لم يكن نصا فقد يختلف الناس فيه في بعض صوره، كأن يجمع المفسر حول الآية مجموعة من المرويات على أنها مفسرة للآية, بحسب المعنى المتبادر إلى ذهنه، فيصل بينها وبين ما يروى حولها في اطمئنان، فيأتي آخر فينازعه في ارتباط هذه المعاني بالآية[2] .

و أما التفسير العقلي فإن الخلاف فيه أوضح، إذ يفرغ المفسر في الآية طاقته وجهده في الوصول إلى أكمل معانيها عنده ، وهذا هو ميدان الاختلاف والتنافس في إبراز القيم العليا لهذه الآيات الكريمة .

وانطلاقا من ذلك فإن القول بأن المتأخرين لا يمكن لهم أن يأتوا بجديد معتبر في التفسير، قول له ثلاثة مفاسد هي:

1- توقف التفسير على ما قال به السلف فقط .

2- إنه لا يجوز القول في التفسير بغير ما قال به السلف.

3- إن أي تفسير يأتي بعد تفسير السلف فهو باطل مطلقا.

وهذه مفاسد تضرب عرض الحائط سنة اختلاف البشر وتنوع اجتهاداتهم وأفكارهم[3] .

ولذلك فإن هذا القول ظاهر السقوط بدليل أن المفسرين السابقين لم يأتوا على ذكر جميع محتملات التفسير؛ بل هناك احتمالات كثيرة صحيحة ذكرها المتأخرون ولم يذكرها السلف، كما هو واضح لكل من يطالع كتب التفسير، وهذا لا يعني فتح باب التجديد في التفسير على مصراعيه كما يدعوا إلى ذلك بعض المعاصرين ، مثل شحرور وآركون وغيرهم، بل لا بد من وضع ضوابط لهذا المعنى الجديد حتى يكون مقبولا، ومن أحسن من ذكر تلك الضوابط الدكتور: فضل حسن عباس، حيث جعلها ثلاثة هي:

1- أن لا يخالف التفسير الجديد ما صح من المأثور.

2- أن لا يتناقض مع اللغة.

3- ألا يتعارض مع السياق[4] .

---

[1] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير باب فكاك الأسير برقم: 2882 .

[2] مقال: التجديد في التفسير- مادة ومنهاجا -، د: جمال أبو حسان .

[3] مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د: مساعد الطيار، ص 230 .

[4] مقال: التجديد في التفسير- مادة ومنهاجا للدكتور جمال أبو حسان .

ومما يدل على بطلان القول بمنع التجديد في التفسير هو: مخالفة جميع المفسرين في تفاسيرهم له، وكذلك لو كان التفسير لا يجوز فيه الاجتهاد عبر القرون لكان مما بينه الرسول ρ ولم يتركه نهبا للأقاويل .

المطلب الثاني: التجديد المنهجي .

وسأتحدث في هذا المطلب عن مقترحات منهجية تتعلق بست من أهم خطوات التفسير التحليلي، وهي: التجديد في منهج التعامل مع فضائل السور وأسمائها وأسباب النزول،و القراءات القرآنية، والمباحث اللغوية، والمعنى الجملي، وينبغي التنبيه إلى أن التجديد في منهج التفسير التحليلي إنما يمس ما يبنى منه على الاجتهاد أما ما يبنى على النقل والتوقيف المحض فهذا لا تجديد فيه من ناحية محتوى المادة العلمية، مثل المسائل المتعلقة بفضائل السور وأسمائها التوقيفية وأسباب النزول والقراءات وغيرها مما يعتمد على النقل، أما من ناحية منهجية التعامل معها أو عرضها فهذا مما يحتمله التجديد .

وأما عن المقترحات التي من شأنها أن تسهم في التجديد في التفسير التحليلي فهي:

أولا: فيما يتعلق بفضائل السور:

علم فضائل السور يعتمد على النقل المحض فليس فيه مجال للاجتهاد، ومن المعلوم أنه لم يثبت حديث صحيح عن النبي ρ في بيان فضائل القرآن الكريم سورة سورة، بل ثبتت عنه أحاديث في سور معينة، إضافة إلى الفضائل العامة للقرآن، ولذلك فإن الملاحظ أن السور التي ثبت لها فض خاص أقل من السور التي ليس لها فضل خاص .

والناظر في كتب التفسير التي فسرت القرآن وفق منهج التفسير التحليلي يجدها مشحونة بالروايات التي وردت في فضائل السور الصحيح منها وغير الصحيح، ولذلك فإن الحاجة للتجديد في هذا العلم "فضائل السور" ضرورية، مع التنبيه إلى أن التجديد لا يكون فيما يتعلق بأصل المنقولات، فإن الذي يريد التجديد في ذلك فيثبت فضائل جديدة للسور يكون مثل نوح بن أبي مريم المعروف، وميسرة بن عبد ربه، فقد أرادا التجديد في فضائل السور فلم يقبل ذلك منها أحد، قال السيوطي: "أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فإنه موضوع، كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة.

وروى ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال: «قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث (من قرأ كذا فله كذا)؟ قال: وضعتها أرغِّب الناس فيها» [1] .

فهذا مجال يتعذر فيه التجديد، وأما مجمل المقترحات المنهجية التي يحتملها التجديد في هذا العلم فهي:

1- من ناحية تنقيح الصحيح من الضعيف فيه، فيكتفي المفسر بذكر الأحاديث التي صحت في الفضائل، ولا يوسع هذا المبحث بأحاديث غير صحيحة إلا منبّها على عدم ثبوتها، وقد حاول بعض العلماء التجديد في هذا العلم من هذه الناحية فألفوا كتبا خاصة بصحيح فضائل السور، ومن ذلك:

- كتاب "الدرر من صحيح فضائل الآيات والسور"، تأليف : فخر الدين بن الزبير المحسي .

[1] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (4/ 134) .

- كتاب "صحيح ما ورد في فضائل آيات وسور القرآن الكريم" ، الشيخ حسن عبد العال محمود .
- كتاب "عقد الدرر فيما صَحَّ في فضائل السور عند الألباني"، جمع: أبي خالد أيمن بن عبدالعزيز أبانمي .

2- ومن الاقتراحات المنهجية: عدم ذكر أسانيد روايات فضائل السور، بل يكتفي فيها ببيان حكمها، وعزوها إلى مصادرها من كتب السنة أو الكتب المفردة، لأن المقام ليس مقام النظر في الأسانيد وتنقيحها وبيان عللها .

ثانيا: أسماء السور:

ذكر أسماء سور القرآن الكريم مما اعتنى به المفسرون، وذلك لما له من فوائد كتمييز السور عن بعضها، ومحاولة الكشف عن العلاقة بين موضوع السورة واسمها وغيرها، ومما ينبغي ذكره في هذا المقام، أن أسماء سور القرآن يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النبي ρ وهذا كثير، ومن أمثلته: ما ثبت عن أبي أمامة الباهليτ أن النبي ρقال :"اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف- تُحَاجَّان عن أصحابهما"[1] .

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثاله ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس τ سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير"[2] .

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا[3] .

و لذلك فإن التجديد المنهجي لهذه المسألة له مظاهر كثرة منها:

1- ينبغي للمفسر التحليلي أن يميز بين ما ثبت توقيفا في أسماء السورة وما ثبت اجتهادا، على حسب التقسيم المذكور سابقا، فيقسم هذا المبحث إلى قسمين: الأسماء التوقيفية للسورة، الأسماء الاجتهادية للسورة .

2- الاعتناء بذكر العلاقة بين اسم السورة ومضمونها، قال الزركشي رحمه الله: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي ، أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد"[4]، والمناسبات بين اسم السورة وموضوعها أمر اجتهادي نسبي، ومما يستفاد منه في هذا المجال "التفسير الكشفي"، الذي يعتني بالكشف عن الموضوع الرئيس للسورة، فيربطه المفسر بعد ذلك باسمها .

3- محاولة البحث عن علاقات أسماء السور فيما بينها، سواء وفق ترتيبها في المصحف أو وفق اعتبارات أخرى، فإن المتأمل في هذه القضية يكتشف أمورا عجيبة مليحة في التفسير التحليلي، ومما وقفت عليه في هذا الباب:

---

[1] رواه مسلم، كتاب:صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، برقم: 1910 .

[2] رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير برقم: 3805 .

[3] المحرر في علوم القرآن، د: مساعد الطيار، ص: 168-169 .

[4] البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (270/1) .

– السورتان اللتان حملتا اسمين من أسماء الصلوات الخمس: الفجر والعصر، وقد قال النبي ρ:" من صلى البردين دخل الجنة"، والبردان هما الفجر والعصر"[1] .

– أصناف الناس في الدنيا بالنسبة للإيمان والكفر: الأنبياء، المؤمنون، المنافقون، الكافرون، وهذا هو ترتيبها في القرآن الكريم!

– اليوم الوحيد الذي سميت سورة باسمه: الجمعة، وقد قال رسول الله ρ:"خير يوم طلعت عليه الشمس: يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها" [2].

– المرأة الوحيدة التي حملت اسمَها سورةٌ من سور القرآن الكريم: مريم، والرجل الوحيد الذي حملت سورة من سور القرآن اسمه: لقمان، وكل منهما ليس بنبي .

– الإخلاص والتوبة هما العبادتان القلبيتان الوحيدتان اللتان سميت سورتان باسمهما، وهذا يدل على عظمهما، أما العبادات العملية فذكرت: الحج والسجدة، وذِكرُ السجود عوضاً عن ذكر الصلاة، كأنه إشارة إلى فضل السجود، وقد ورد أن رسول الله ρقال:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" [3]. [4] .

ثالثا: أسباب النزول:

سبب النزول هو: ما نزلت الآية متحدثة عنه أيام وقوعه[5]، وهو من الخطوات المهمة في التفسير التحليلي لما له من فائدة في التفسير، قال ابن تيمية :"معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[6]، وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن" [7] .

وقد انقسمت سور وآيات القرآن الكريم إلى قسمين فمنها: ما نزل ابتداء من غير سبب توجيها من الله لعباده، ومنها: ما نزل لسبب عقب واقعة أو سؤال، ولذلك فإن أسباب النزول تعتمد على الرواية والنقل لا على الاجتهاد، قال الواحدي: "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُّوا في الطلب"[8]، ومن هذا نعرف أنه لا مدخل للتجديد في "أسباب النزول" من هذه ناحية الرواية، وإنما يكون التجديد فيها من الناحية المنهجية فيما يتعلق بكيفية التعامل مع تلك المرويات .

و المتأمل في كثير من كتب التفسير التحليلي يجدها مشحونة بذكر أسباب النزول دون تمحيص لها، وهذا ما يدعو إلى الحاجة الملحّة للتجديد في هذه القضية، ومن المقترحات في هذا الأمر:

---

[1] رواه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة الفجر، برقم: 548 .

[2] رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم: 2013 .

[3] رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال فى الركوع والسجود برقم: 1111 .

[4] بحث في المناسبات بين السور، بشرى عمر الغوراني، نشر في: موقع الشبكة الفقهية، سنة: 2013 .

[5] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 116) .

[6] التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (ص: 93) .

[7] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 88)

[8] أسباب النزول، الواحدي (ص: 8) .

1- الاقتصار على ذكر أسباب النزول الثابتة، قال السيوطي: "قد تقرر في علوم الحديث: أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع؛ لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل المسند، لا ضعيف ولا مقطوع"[1]، وقد أخذ "الواحدي" على علماء عصره تساهلهم في رواية سبب النزول، ورماهم بالإفك والكذب وحذَّرهم من الوعيد الشديد، حيث يقول: "أما اليوم فكل أحد يخترع شيئًا، ويختلق إفكًا وكذبًا، ملقيًا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية" [2] .

فينبغي للمفسر أن يقتصر على الصحيح من أسباب النزول، أو يذكر غيره مع التنبيه على عدم صحته .

وقد قام بعض الباحثين بتمحيص روايات أسباب النزول فميزوا بين صحيحها وضعيفها، مما يعين المفسر على معرفة درجتها ويكفيه مؤنة البحث فيها، ومن تلك المؤلفات:

- كتاب"العجاب في بيان الأسباب"، لابن حجر انتقد فيه الواحدي، وتتبَّع طرقه بالفحص والحكم عليها .
- كتب "الصحيح المسند من أسباب النزول"، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .
- كتاب "صحيح أسباب النزول"، لإبراهيم محمد العلي .
- كتاب "الصحيح من أسباب النزول"، للدكتور عصام بن عبد المحسن الحميدان .
- كتاب "الاستيعاب في بيان الأسباب"، تأليف: سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر، وقد اعتنيا بالحكم على تلك الروايات المذكورة صحة وضعفا .

2- التمييز بن سبب النزول وموافقة حادثة معينة لمعنى الآية، فسبب النزول هو ما نزلت الآية فيه أيام وقوعه، وأما الأحداث التي وفاقت معنى الآية فإنه لا يصح أن يقال إن الآية نزلت فيها، بل هي معان تدخل في مضمون الآية، وهذا أمر يحتاج لإعادة نظر وتحديد، قال – رحمه الله –: "كثيرًا ما يَذكُر المفسِّرون لنزول الآية أسبابًا مُتعدِّدة، وطريق الاعتماد في ذلك أنْ ينظر في العبارة الواقعة: فإنْ عبَّر أحدُهم بقوله: "نزلت في كذا"، والآخَر: "نزلت في كذا"، وذكَر أمرًا آخر، فقد تقدم أنَّ هذا يُراد به التفسير لا ذكر سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما"[3] ، وقال: " فحق مثل هذا ألاَّ يُورَد في تصانيف أسباب النزول، وإنما يُذكَر في تصانيف أحكام القرآن"[4].

ومما ينبغي أن ينتبه له المفسر: أن الصحابي إذا لم يجزم فقال: "أحسب هذه الآية نزلت في كذا"، فإن هذا ليس سبب نزول، من ذلك قول عبد الله بن الزبير τ: خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شراج الحرة, فقال النبي صلى ρ: "اسق يا زبير, ثم أرسل الماء إلى جارك"، فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجهه، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [سورة النساء: 65]**."[5] .

.

---

[1] الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر (1/ 6) .

[2] أسباب النزول ، للواحدي (ص: 9) .

[3] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 94) .

[4] لباب النقول، للسيوطي، (ص: 5) .

[5] أخرجه البخاري، كتاب: المساقاة، باب: سَكْرِ الأَنْهَارِ برقم: 2233 .

3–ترك الاشتغال بالصناعة الحديثية في كتب التفسير التحليلي، للكتب الخاصة بمرويات أسباب النزول، لموافقة مقصود التأليف، لأن سوق المفسر للروايات ونقدها والحكم على الرواة وغيرها لا يتناسب مع غرض التفسير التحليلي ، بل هذا له مظانه وهي كتب الرواية .

4–عدم التطويل في تحديد من نزلت فيه الآية، إلا إن كان فيه فائدة [وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ] (الأحقاف:17) ، فقيل أنها: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قَبْلَ إسلامه، وعليه جمهور المفسرين، قال الزجاج: وهو باطل بقوله:[**أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ... إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**] (الأحقاف:18) فأعلَمَ اللهُ أن هؤلاء لا يؤمِنون، وعبد الرحمن مؤمن، وعن الحسن أنها نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم[1]، فهذا مثال على ما ينبغي أن يبين اسمه لفائدة وهي: تبرئة الصحابي من الكفر، وهكذا . وأما ما لا فائدة فيه فلا ينبغي للمفسر أن يطيل فيه .

4– الاعتناء بتطبيق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذه من أهم مظاهر التجديد في أسباب النزول، فالاعتناء بهذه القاعدة يعطي للمفسر فرصة كبيرة في التعامل مع الناس على ما هم عليه من الواقع الذي يعيشونه، ومن الأخلاق التي جبلهم الله عليها، وترشده إلى كيفية إثارتهم إلى القضية التي يريد أن يتحدث عنها ببيان كيفية عناية الله بمن نزل فيهم قرآن من المؤمنين، وكيف عالج ما فيهم من الأدواء، وكيف فضح أعداءهم وأبان لهم صنائعهم ومنكراتهم[2] .

ومن أظهر الأدلة على هذه القاعدة حديث عبد الله بن مسعود τ أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ρ فأخبره، فأنزل الله: **[وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين] [هود: 114]** ، فقال الرجل: يا رسول الله: ألي هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم" [3] .

رابعا: القراءات القرآنية:

لا شك أن من مقاصد المفسر في التفسير التحليلي أن يبين الوجوه التي قرأت بها اللفظة القرآنية لما في ذلك من فوائد شتى، وهذا ما نجده في كثير من كتب التفسير التحليلي التي جاء كثير منها مشحونا بتعداد القراءات القرآنية،

ولكن الملاحظ على تلك التفاسير هو توسعها غير المرضي في بعض المسائل المتعلقة بالقراءات بما يتناسب مع كتب القراءات المفردة لا مع كتب التفسير، ولذلك كان لا بد من التجديد المنهجي في هذه المسألة، ومن المقترحات المنهجية في هذا المجال ما يلي:

1–التركيز على تعداد القرءات التي لها أثر في المعنى، أما ما يتعلق بالصوتيات كمقادير المدود والتفخيم والترقيق وغيرها ، فهذا لا ينبغي للمفسر أن يتوسع فيه في التفاسير المعاصرة، لأنه طبعت كتب كثيرة جدا قديمة وحديثة اعتنت بهذه المسائل والتفصيل فيها، فلم تعد حاجة لبثها والتفصيل فيها في كتب التفسير المعاصرة، ومثاله في قوله تعالى (**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**) **[البقرة: 36]**، قال أبو علي: فَأَزَلَّهُمَا يحتمل تأويلين، أحدهما،

---

[1] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (4/ 109) .

[2] المحرر في علوم القرآن، د: مساعد الطيار (ص: 136) .

[3] رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة برقم: 503 .

كسبهما الزلة، والآخر أن يكون من زل إذا عثر، وقرأ حمزة: «فأزالهما» ، مأخوذ من الزوال، كأنه المزيل لما كان إغواؤه مؤديا إلى الزوال [1] .

2–عدم التوسع في التوجيه حتى لا ينغلق الفهم، وممن دعى إلى ذلك ابن جني في كتابه المتخصص "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" حيث قال :"إلا أننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القراءات؛ ليحظوا به، ولا ينأَوْا عن فَهْمِه. فإن أبا علي–رحمه الله– عمل كتاب الحجة في القراءات، فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء "[2]، فكتاب "الحجة في القراءات" كتاب متخصص في التوجيه فيه فكيف بكتب التفسير التحليلي، فالتوسع فيها مما يصرف الناس عن قراءة التفسير، ولذلك ذكر ابن جني أن سبب عزوف الناس عن كتاب أبي علي الفارسي – **الحجة للقراء السبعة–** وهو التطويل فقال :" وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرًا ممن يدِّعي العربية فضلًا عن القَرأَة وأجفاهم عنه"[3] .

3– التمييز بين القراءات التواترة وغيرها من القراءات الشاذة: وذلك ليكتفي القارئ بمعرفة حكم هذه القراءة ولا يضطر للرجوع إلى كتب القراءات المخصصة مع ما قد يكون معه من قلة مراجع أو ضعف علمي، وهو أمرٌ سهلٌ علينا الآن، بعد أن بذل سلفُنا الجهد حتى حفظوا لنا المحفوظ وميّزوه عن غيره، واستقرت الأمةُ على قراءات عشرة بروياتها العشرين، فإن ذكر المفسر قراءة شاذة لغرض من الأغراض فعليه أن يبين أنها شاذة لئلا يعتقد القارئ ثبوتها، لأنه قد يحتاج المفسر لذكرها ليستفادَ منها في اللغة والإعراب وفي التفسير والاستنباط [4] .

خامسا:المباحث اللغوية:

وهذا المبحث مهم جدا إذ أن القرآن نزل بلسان عربي فكان لا بد من الإلمام بقواعد هاته اللغة حتى يكون التفسير صحيحا، وهذا ما قام به مجموعة ممن فسر القرآن تفسيرا تحليليا، ولكن الملاحظ لكثير من تفاسير المتقدمين في هذا الأمر يجد أمورا تحتاج إلى تجديد منهجي، مثل: التوسع في تلك المباحث اللغوية والاعتناء بذكر الخلاف بين المدارس اللغوية وغيرها من الأمور ، ومن مظاهر التجديد المقترحة في هذا المبحث ما يلي:

1– الاعتناء بالرد على الشبة المتعلقة بـ "أساليب القرآن"، كمن يقول في بعض الأساليب القرآنية "هذا مخالف للأفصح"، أو بيان وجه إعراب مخالف للمشهور و غير ذلك .

2– عدم التوسع في ذكر الخلاف بين المدارس اللغوية: سواء كان ذلك في المباحث المتعلقة بالإعراب كالخلاف في المصطلحات الإعرابية بين مدرستي: الكوفة والبصرة، أو المباحث البلاغية أو الصرفية أو غيرها، بل ينبغي الاكتفاء بالمسائل التي يكون لها أثر في المعنى، لأن هذا النوع من الخلاف له مواطن أخرى يبحث فيها حتى لا يخرج التفسير التحليلي عن مقصوده .

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (1/ 128) .

[2] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (1/ 34) .

[3] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (1/ 13) .

[4] مقال: كيف نتعامل مع القراءات القرآنية – الدكتور عبد الحليم قابة، مجلة التراث العربي 107 ، (ص: 213– 227) .

3- التركيز على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم: ويمكن الاستعانة في هذا باتباع منهج "المصطلح القرآني" الذي هو أحد أنواع التفسير الموضوعي، وقد ظهر في هذا الموضوع اتجاه تفسيري جديد وهو "الاتجاه البياني في التفسير" ، وممن اعتنى به عائشة عبد الرحمن في كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم" ، والتي ركزت على بيان وجه الإعجاز القرآني في اختيار اللفظ دون غيره من المترادفات الأخرى، في التعبير عن معنى محدد .

ومن الأمثلة التي ذكرتها بعض من اعتنى بدراسة الألفاظ القرآنية : الكلمتين المترادفتين: "رؤيا" و "حلم"، نجد أن القرآن الكريم جاء بكل واحدة منهما لتعبر عن معنى معين، فتوضح الدكتورة بنت الشاطئ أن استخدام كلمة **"الرؤيا"** قد جاء في سياق معين، بحيث لا يمكن أن تحل محلها كلمة الأحلام، فكلمة "رؤيا" ترتبط بالتصديق، وتتسم بالوضوح، مثلما جاء في قوله تعالى (**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يأَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**) [يوسف: 4-5]. وكذلك الأمر في رؤيا ملك مصر [**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**](يوسف: 43).

أما كلمة "الحلم" فتأتي في صيغة الجمع وتدل على التداخل وعدم الوضوح، تبين ذلك في رد الملأ على طلب ملك مصر بتفسير رؤياه: [**قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ**] (يوسف: 44) [1] .

سادسا: المعنى الجملي:

وهو أن يبيّن المفسّر خلاصة معنى الآية أو الآيات مع إبراز مقاصدها، بحيث يصل معناها إلى الأفهام بأقرب طريق، مع حسن الصياغة وجمال الأسلوب ووضوحه، واستيعاب أقوال المفسرين، واستخلاص اللطائف والفوائد من الآيات، في ضوء تدبُّرٍ عميقٍ ودراسةٍ وافيةٍ للآيات، مع الاكتفاء بالصحيح، والاعتناء بسلاسة العرض وعذوبة الكلمات، وصلاحيته للترجمة إلى اللغات الأخرى، وهذا خلاصة ما يقوم به المفسر التحليلي، وهي زبدة المراحل المتقدمة كلها.

والتجديد في هذه المرحلة: يكون بمراعاةِ لغةِ العصرِ الذي يعيشُهُ المفسرُ: فيعبِّرُ المفسرُ بأسلوبِ عصرِهِ فلا يأتي بغريبِ الألفاظِ ولا يتكلَّفُ العبارات ولا يُمْعِنُ في عَوِيصِ المعاني، و لكن هذا لا يعني أن يهبط المفسرُ بأسلوبِهِ إلى مستوى العاميةِ واللهجاتُ الدارجةُ إلا للحاجة؛ وبذلك يعرض عن بلاغة القرآنِ وجمالِ العربية، كما نرى في بعض المتصدِّرين للتفسير سِيَّما في الإذاعات المسموعة والمرئية ممن يهبِطون بأسلوبهم إلى الحضيض، ولكن يتخذ مسلكا واضحا ومنهجا ثابتا، بحيث إذا سمعَهُ غيرُ المتخصصِ أدركَ أبعادَهُ وشدَّهُ أسلوبُهُ، وإذا سمِعَهُ العالمُ شدَّه حسنُ التعبير وطلاوةُ الأسلوبِ"[2].

كما ينبغي التنبيه إلى أن التيسير في معنى التفسيرِ: ليس بمعنى الإيجازُ فيه فقط؛ فكم من تفسير وجيز يصعبُ فهمُهَا إلا للمتخصِّصِ مثلَ: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي وحواشيه الكثيرة .

---

[1] بحث بعنوان: قضايا معاصرة -التفسير البياني للقرآن-، د. محمد يونس .

[2] اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، فهد الرومي، ج3، ص170.

ومن التفاسير المعاصرة التي جددت في هذه المرحلة فأفادت وجاءت بأسلوب سهل كتاب "التفسير اليسر" الذي صدر عن مجمع الملك فهد من تأليف مجموعة من العلماء والباحثين، وقد جاء تفسيرا إجماليا ميسرا ترجم لأكثر من خمسين لغة من لغات العالم ولا زال المشروع قائما لترجمته إلى جميع اللغات المتبقية .

المطلب الثالث: التجديد المعرفي:

وقد خصصته للحديث عن مقترحات التجديد في الخطوة التي يختم بها التفسير التحليلي وهي استنباط الفوائد و الهدايات والإرشادات من الآيات القرآنية، وهذه هي أهم مرحلة في التفسير التحليلي بل هي مراده والمقصد منه، إذ أنها تعطي للمسلم توجيهات ربانية يستفيد منها المسلم في حياته، فينبغي أن تكون هذه الاستنباطات موزعة على مقاصد القرآن، التي ذكر ابن عاشور طرفا منها فقال: في مقدمة تفسيره: "... فمرادُ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ هُوَ بيانُ تَصَارِيفِ مَا يَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقَاصِدِ الدينِ وقد أُودِعَ ذلك في ألفاظِ القرآنِ التي خاطَبَنَا بها خِطَابًا بَيِّنًا وَتَعَبَّدَنَا بِمَعْرِفَةِ مُرادِهِ والاطلاعِ ... ثم ذكر –رحمه الله– ثمانية مقاصد رئيسة لنزول القرآن وهي: **الأول**: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق . **والثاني**: تهذيب الأخلاق. **والثالث**: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، **والرابع**: سياسة الأمة: وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها. **والخامس**: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسِّي بصالح أحوالهم. **السادس**: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار. **السابع**: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين وهذا باب الترغيب والترهيب، **الثامن**: الإعجاز بالقرآن ليكون"[1] .

واستنباط التوجيهات القرآنية يختلف من شخص لآخر ومن زمان لآخر، ولذلك كان لابد من التجديد في هذا المجال بحسب العصر الذي يكون فيه المفسر التحليلي، وهذا ليبين أن القرآن الكريم صالح مصلح لكل زمان بشرط حسن الاستنباط .

ويمكن أن يقال إن التجديد المعرفي في الهدايات القرآنية، له نوعان من الضوابط؛ ضوابط خاصة تختلف على حسب نوع الآيات محل التفسير، وضوابط عامة تشترك في جميع الآيات مهما كان نوعها ، وبيان ذلك:

أولا: الضوابط الخاصة: وهي تختلف على حسب نوع الآيات محل التفسير، والتجديد فيها يكون كما يلي:

1– آيات القصص القرآني :

ويكون التجديد فيها بحسن العرض ووضوحه وتجنب التوسع في ذكر الإسرائيليات، والعناية باستخلاص العبر والعظات، و ينبغي أن يكون التركيز من المفسر على مقاصد القصص القرآني، وعقد مقارنة بين القصص القرآني وقصص العهدين القديم والجديد لبيان عظمة القصص القرآني وتفرّده في مضمونه ومقصوده وصدقه، كما ينبغي دفع الشبهات التي علقت

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور، (ج1، ص41) .

بالقصص القرآني والتركيز على الشبهات المعاصرة كالقول بأن القصص القرآني يحتوي على خرافات ومبالغات في وصف الأحداث أو غيرها مما ذكره من حاول الطعن في قصص القرآن [1] .

2- آيات الأحكام:

ويكون التجديد فيها بحسن عرض الأحكام التي تضمنتها تلك الآيات بعيدا عن التعصب المذهبي وتحقيق القول في مسائل الخلاف، كما ينبغي الاعتناء باستنباط النوازل الفقهية المعاصرة مع التركيز على إبراز الحكمة التشريعية من تلك الأحكام، وذلك لدفع شبهات المشككين في الأحكام الشرعية بحجة أنها لا تناسب العصر الحاضر .

ولذلك نلاحظ أن كثيرا من المفسرين منذ بداية العصر الحديث وما واكبه من لقاء الحضارات والاتصال بالغرب اعتنى بإبراز الحِكم التشريعية وخصائص التشريع القرآني لبيان سماحة الإسلام وعظمته ويسره وإنصافه وصلاحه لكل العصور، ومن هؤلاء رشيد رضا وشيخه محمد عبده والقاسمي في "محاسن التأويل"، وشلتوت في تفسير العشر أجزاء الأول وعبد الرحمن الدوسري في تفسيره الموسوم بـ (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)، وكما فعل محمد علي الصابوني في روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، وغيرهم[2] .

3- آيات العقائد:

ويكون التجديد فيها بحسن عرض المسائل العقدية عرضا واضحا مبسطا يفهمه جميع القراء مهما اختلفت مستوياتهم، بعيدا عن الخوض في المذاهب التي اندثرت، وعدم التوسع في تفريعات علماء الكلام وتعقيدات الفلاسفة كما هو موجود في بعض التفاسير مثل تفسر الرازي مثلا، كما يمكن الاستفادة من المكتشفات العلمية الحديثة في تقوية اليقين بتلك العقائد القرآنية .

كما ينبغي التجديد في تفسير آيات العقائد من خلال رد شبهات المنحرفين عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، مثل: شبهات اليهود والنصارى والملحدين ، وغيرهم .

وكذلك ينبغي ترسيخ المعاني العقدية ومحاولة ربطها بالواقع وإبراز الجانب العملي منها، وهذا ليظهر أثر العقائد القرآنية على سلوك الأفراد فتصلح بذلك دنياهم وآخرتهم [3] .

4- الآيات المتضمنة إعجازا علميا:

ينبغي على المفسر للقرآن وفق منهج التفسير التحليلي أن يعتني بآيات الإعجاز العلمي ، والملاحظ لبعض من كتب في هذا المجال أنهم أقحموا بعض الآيات القرآنية في موضوعات لا تناسبها، كما أن بعضهم أخضع نصوص القرآن الكريم لنظريات علمية غير مستقرة، وبعضهم توسع كثيرا في بيان أوجه الإعجاز العلمي حتى صارت مؤلفات ضخمة تكتب في معجزة قرآنية واحدة ثم تقدم هذه المؤلفات على أنها من كتب التفسير التحليلي، وهذا قطعا منهج غير مرضي ،كما فعل الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه "الجواهر"، حيث نجده يفسر الآية القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً، وبعدها ينطلق لذكر

---

[1] مثل أحمد خلف الله وغيره .

[2] مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، ص403 .

[3] مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، ص400 .

الأبحاث العلمية المستفيضة التي يسميها لطائف أو جواهر، وهذا ما جعل الكثير من العلماء ينكر أن يكون هذا الكتاب تفسيرا للقرآن الكريم، بل هو كتاب في العلوم وفيه شيء من التفسير .

ولذلك ينبغي لمن يتصدى لتفسير هذه الآيات أثناء تفسيره للقرآن وفق منهج "التفسير التحليلي" أن يقوم بتجديد في هذا المجال، ومن مظاهر هذا التجديد ما يلي:

– تجنب تفسير القرآن بالنظريات محلِّ البحثِ والدراسة لأنها عرضةً للتغييرِ، والتركيز على الحقائق العلمية الثابتة .

– عدم التكلُّفُ في تحميلِ النصوصِ ما لا تحتمله حرصًا على ربطها باكتشافِ علميٍّ .

– لا يصحُّ أن نجعل القرآنَ تبعا والعلمَ التجريبيَّ أصلا و حَكما .

– إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية [1] .

فهذه بعض أوجه التجديد الخاصة باستنباط المعاني القرآنية من كل نوع من أنواع الآيات المذكورة، وأما عن الضوابط المشتركة في استنباط المعاني من الآيات القرآنية في العصر الحديث فسأذكرها في العنصر الثاني .

ثانيا: الضوابط العامة التي تصلح مع جميع الآيات القرآنية مهما كان نوعها وهي:

الأول: الاعتناء بإبراز مقاصد القرآن الكريم:

يقول الطاهر ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "... فمرادُ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ هُوَ بيانُ تَصَارِيفِ مَا يَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقَاصِدِ الدينِ وقد أُودِعَ ذلك في ألفاظِ القرآنِ التي خاطَبَنَا بها خِطَابًا بَيِّنًا وَتَعَبَّدَنَا بِمَعْرِفَةِ مُرادِهِ والاطلاعِ ... ثم ذكر –رحمه الله– ثمانية مقاصد رئيسة لنزول القرآن وهي: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق: والثاني: تهذيب الأخلاق، والثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة ...، والرابع: سياسة الأمة: وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها، والخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسِّي بصالح أحوالهم ...، السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار ...، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين وهذا باب الترغيب والترهيب، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون..."[2] .

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره سعيد حوى –رحمه الله– في مقدمة تفسيره بقوله: في المقدمة: تحت عنوان (بعض احتياجات عصرِنَا بالنسبةِ للقرآن) ، ثم أخذ يعدد هذه الأهدافُ والمقاصد وهي:

1–الحديثُ عن الوحدةِ الموضوعية للقرآن الكريم حديثا موسَّعًا؛ يعين على فهم القرآن ويبرز جانبا هاما من جوانب إعجاز النظم القرآني، كما يردُّ من خلال ذلك على شبهات أعداء الإسلام حول ترتيب القرآن ووحدته الموضوعية .

2–الإجابةُ على كثير من التساؤلات التي تتردُدُ في هذا العصرِ، والاستفادةُ مِنَ العُلُوم العصرية، وبيانُ موقفِ القرآنِ منها .

---

[1] ينظر: مقال: المنهج القويم للتفسير العلمي في القرآن الكريم، لأحمد عطا عمر، نشر في ملتقى أهل التفسير بتاريخ: - 24/03/1428 .

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج1، ص41).

3-الإجابةُ على كثيرٍ مِنَ الشُّبَهِ والاعتراضاتِ التي طَرَحَهَا أعداءُ الإسلام وتولى كِبَرَهَا أتباعُهُم ممن ينتسبون إليه: حولَ إِمْكَانِيةِ الحياةِ في ظلالِ القرآنِ، وتطبيقِهِ في شتى مجالاتِ الحياةِ.

4-تكوينُ الشخصيَّةِ المسلمةِ التي تتحققُ بمعاني القرآن، وتترجِمُهُ إلى واقعٍ عمليٍّ، وإذا وُجِدَ الفردُ المسلمُ على هذا الأساسِ فسوف توجَدُ الأُمَّةُ المسلمةُ التي تستحقُّ النصرَ والتمكينَ، وتُؤَدِّي دورَهَا في هذا الوجودِ .

5-هذا إلى جانب ضرورةِ التيسيرِ على القارئِ المسلِمِ، واستخلاصِ الفوائدِ من أمهاتِ كتبِ التفسيرِ لأنَّ المسلمَ المعاصرَ يُعْجِبُهُ أن يأخذَ خلاصَةَ التحقيقِ بأدِلَّتِهِ المباشِرَةِ، أَمَّا التحقيقُ نفسُهُ فَيُمْكِنُ للمتخصِّصِينَ أن يرجِعُوا إِلَيهِ في مواضِعِهِ .

6-عرضُ العقيدةِ الإسلاميةِ عرضًا صحيحًا بعيدًا عن تأويلِ الجاهلينَ وانتحالِ المبطلينَ، وخاليا من المشكلاتِ الكلاميةِ والتعقيدات الفلسفيةِ مع الردِّ على المللِ والنِّحَلِ المخالفةِ للإسلامِ، والردِّ على المذاهبِ المنحرفةِ المخالفةِ لمذهبِ أهلِ السنةِ والجماعةِ ...[1] .

الثاني: تنزيل الآيات على الواقع:

ومعنى ذلك هو: محاولة المفسر ربط معنى الآية القرآنية بما يقابلها من الأحداث الواقعة في المجتمع زمن تفسيره لكتاب الله، وذلك للسير وفق التوجيهات الربّانيّة في القضية محلّ الدراسة[2] .

و ذلك أن القرآنَ الكريمَ يتواكبُ مع كلِّ عصرٍ وَمِصْرٍ ويتناسبُ مَعَ كُلِّ جيلٍ، فهذا أمرٌ ضروريٌّ؛ لمواكبةِ رُوحِ العصرِ ومعالجةِ قضاياه وتقديمِ الحلولِ الحاسمةِ لمشكلاتِهِ المزمنةِ وأزماتِهِ المتفاقِمَةِ وأمراضِهِ التي استعصتْ على تلك الحلولِ المستوردةِ، القاصرةِ البعيدةِ عن هدي القرآن، وذلك **لأن المنهج القرآني يتّسم بالواقعية**:

الواقعية: من حيث عرضِهِ للعقيدةِ التي يتسلحُ بها المؤمنُ في مواجهةِ واقعِهِ .

الواقعية: في كل ما جاء به من تشريعات تناسبُ الواقعَ، وتعالجُ النوازلَ والوقائعَ .

الواقعية: في قصصه وأمثاله التي نستلهمُ منها العبرَ، ونستمدُّ المواعظَ، ونستخلصُ الفوائدَ .

الواقعية: في حِكَمِهِ ووصاياهُ التي تَشْحَذُ الهِمَمَ وتسمُو بالأرواحِ وتُقِيمُ الحياةَ وتنهضُ بالمجتمعاتِ .

الواقعية: في حديثه عن حقيقةِ الإنسانِ وما يتعلقُ به من حيثُ المبدأُ والمعاشُ والمعادُ، وما أَوْدَعَ اللهُ فيه من غرائزَ وعواطفَ .

وتنزيلُ الآياتِ على الواقعِ يحتاجُ إلى جانبِ معرفةِ أصولِ التفسيرِ وقواعِدِهِ: الدرايةُ بالواقعِ المعاصِرِ ومتابعَةِ أحداثِهِ ومعايشَةِ هُمُومِهِ، وهكذا ينبغي على المفسِّر أن يُولِيَ اهتمامَهُ للقضايا الحيويَّة والنقاطِ الساخنة في واقعِ أمتنا، وأن يُعنَى الباحثون في التفسير الموضوعي بما يُلامِسُ واقعنا.

ومن القضايا المعاصرة التي ينبغي للمفسر في التفسير التحليلي التركيز عليها هي: قضية الاجتهاد ونقض التقليد، قضايا السياسة والوطن ، قضايا العلم والحرية ،قضايا الاقتصاد الإسلامي، قضايا التشريعات الإسلامية وخصوصا المتعلقة

---

[1] مقدمة الأساس في التفسير، سعيد حوى ، (ج1، ص8-12) .

[2] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين –دراسة وتطبيق–، عبد العزيز الضامر، ص: 71-82 .

بالأسرة وتعدد الزوجات والطلاق والميراث وحقوق المرأة ، وحدة الأمة وموقف المسلمين من غيرهم، قضايا الاعتقاد مع التركيز على أن الإسلام دين العقل والوقوف الحازم أمام تيارات الإلحاد وتزييف شبه المبطلين وافتراءاتهم .

الثالث: النظرة الكلية الشاملة:

فلابدَّ للمفسر أن تكون له نظرة شاملة للقرآن الكريم، من خلال مدارسته للقرآن وحسن تدبره، واستحضار الآيات المتعلقة بموضوع واحد، وإلى جانب هذه النظرة الكلية الشاملة للقرآن الكريم بوجه عام، عليه أن يتأمل في كلِّ سورة ويتدبر في مقاصدها وأهدافها قبل أن يشرع في تفسيرها، مما يمنحه فكرة شاملة للسورة تعينه على تقسيمها وتحديد ملامحها ومعالمها ومحورها الذي تدور حوله والوقوف على سياق الآيات والقدرة على الاستنباط، يقول الأستاذ الدكتور لطفي الصباغ: "لابد من أن تتوافر لمبتغي التفسير دراسةٌ شاملةٌ مفصلة ونظرة عامة لجوانب هذا الكتاب الكريم، وهذه القاعدة منطلق في فهم أي نصٍّ فهما صحيحا، فلا يجوز أن نطيلَ الوقوفَ أمام جملة من النص، ونستنبط منها أحكاما ونغض بصرنا ونغلق فكرنا عن الجمل الأخرى[1]" .

الرابع: الرد على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام:

كان من اهتمامات المفسرين المعاصرين كرشيد رضا وشلتوت والمراغي وسيد قطب وأبي زهرة وسعيد حوى والدوسري وعبد الرحمن حبنكة وكما فعل محمد علي الصابوني في روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، وغيرهم الرد على شبهات أعداء الإسلام حول القرآن تاريخاً ومنهاجاً، حيث أثاروا الشبهات حول نزوله ومصدره كما أثاروها حول ما تضمنه من معان ومقاصد، فكانت عناية المفسرين برد الشبهات.

السادس: مراعاةُ سماتِ الخطابِ القرآنيِّ وَتَنَوُّعِهِ:

فالقرآنُ خطابُ اللهِ Y لجميعِ الناسِ على اختلافِ مدراكهم وَتَنَوُّعِ ثَقَافَاتِهِمُ، وتفاوُتِ أعمارِهم، واختلافِ ألسنتِهِمْ وأجناسِهِمْ، خطابٌ للعربيِّ والعجميِّ، وللقارئ والأميِّ والذكر والأنثى؛ ولذلك فمن واجب المفسِّر مراعاة هذا التنوع في الخطاب فلا يغفل عن جانبٍ منه، بل يجعل تفسيره جامعا لكل هذه الأساليب الدعوية القرآنية التي تستوعب جميع المخاطبين. والخطابُ القرآنيُّ، يتناسبُ مَعَ كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ ويتواكَبُ مَعَ كُلِّ جِيلٍ وَقَبِيلٍ، بَلْ وَيَسْبِقُ العُصُورَ ويتجاوَزُ الدُّهُورَ، فَهُوَ رِسَالَةُ اللهِ الخالدةِ، وآياتُهُ المتجدِّدَةُ، ومأدُبَتُهُ العامِرَةُ، وَحُجَّتُهُ البَالِغَةُ.

السابع: الجمع بين الأصالة والتجديد:

وهذا له أوجه من كثيرة من أبرزها:

– أصالةٌ في الأصولِ: وذلك بالرجوعِ إلى المصادرِ الأصيلةِ في التفسير: تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ، فحين نجمعُ الآياتِ في الموضوعِ الواحدِ تتولَّدُ لدينا كثيرٌ من المعاني والاستنباطاتِ، وكذلك: تفسيرِ القرآنِ بالسنةِ لأنها الشارحة والمبينةُ والمقررة لأحكامه ومعانيه ومقاصده ومراميه وقصصه وأمثاله، وكذا تفسير القرآن بأقوال الصحابة لأنهم الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا

[1] بحوث في أصول التفسير للدكتور محمد بن لطفي الصباغ، ص244. نقلا عن مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، ص402 .

أحواله، كذا تفسير التابعين فهم تلامذة الصحابة وحاملو علمهم وفقههم اجتهدوا بين أيديهم فأقروهم على اجتهادهم وزكوا علمهم وفهمهم .

– **الأصالة في المنهج**: الذي يرتكز على تفسير السلف ولا يتوقف عنده وإنما يجعله منطلقاً .

– **الأصالة في المصادر**: بالرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور والرأي فلا يمكن أن يفسر القرآن بعيدا عما كتبه المتقدمون من هذا التراث الزاخر الذي أثرى مكتبة التفسير وعلوم القرآن [1] .

خاتمة :

وفي ختام هذه الورقة البحثية المتعلقة بالمقترحات التجديدية في التفسير التحليلي نلخص إلى مجموعة من النقاط أهمها:

1 – أن باب التجديد في التفسير التحليلي ما زال مفتوحا، وهو أمر مشروع دعت إليها الحاجة لتغير المعطيات في هذا العصر .

2– التجديد في التفسير له جانبان، أحدهما: يتعلق بالناحية المنهجية والآخر بالناحية العلمية .

3– لا تجديد فيما يتعلق بالرواية والنقل مثل: روايات فضائل السور وأسباب النزول وغيرها، فهذه لا يمكن التجديد فيها بالإتيان بأمور جديدة، لأن هذا الباب أغلق بوفاة رسول الله ρ الذي انقطع به الوحي من السماء، وإنما يمكن التجديد فيها فيما يتعلق بالتعامل مع تلك المرويات، من حيث عدم سياقة أسانيدها، والاعتناء بتمييز صحيحها من ضعيفها وغير ذلك .

4– من أهم ماينبغي للمفسر أن يعتني به في تفسيره: ربط معاني القرآن الكريم بالواقع الذي يعيشه المسلمون ومحاولة إيجاد الحلول لمشاكلهم باستنطاق الآيات القرآنية واستنباط المعاني منها .

5– على المفسر أن يركز على إبراز مقاصد القرآن الكريم، من عقائد وعبادات وأحكام وغيرها ، حتى يحقق المفسر غرضه من تفسيره وهو هداية الناس .

6– ينبغي للمفسر أن يعتني بالرد على الشبهات التي تتجدد حول القرآن الكريم وتشريعاته، وأن يكون مطّلعا على تلك الشبهات متمكنا من الرد عليها محسنا لتوظيفها في تفسيره، سواء شبهات من ينتسب للإسلام، أو شبهات غيرهم من اليهود والنصارى والملحدين .

قائمة المصادر والمراجع:

1– أسباب نزول القرآن، الواحدي، ت: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط: 2، سنة:1412هـ/1992م.

2–الأساس في التفسير، سعيد حوى ، دار السلام، القاهرة، (ط1)، 1985م،

3– الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة:1394هـ/1974م .

4– الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، سنة: 1425 هـ .

[1] مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، ص: 404 .

5- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط : 1 ، دار إحياء الكتب العربية .سنة: 1376 هـ - 1957 م .
6- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، سنة: 1420 هـ .
7-التجديد في التفسير في العصر الحديث مفهومه وضوابطه واتجاهاته، دلال بنت كويران بن هويمل، وهي رسالة دكتوراه نوقشت سنة: 1435هـ/ 2014م، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى،
8- التفسير التحليلي مفهومه، وضوابطه، وعناصره، ومصادره مع دراسة تطبيقية على سورة (الفاتحة)، د: العباس بن حسين بن علي الحازمي، مج: 4 من العدد: 29، لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات .
9-التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع ،، دار الإيمان – الإسكندرية، سنة: 2006م.
10- التفسير والمفسرون، د: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة .
11- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م .
12-اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، فهد الرومي، ، مؤسسة الرسالة، بيروت،
13-مقال "التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية"، د: أحمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (12)، ع (3)، 1437 هـ/2016م .
14- جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ت: 1، سنة: 1987م .
15- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 1422 هـ .
16- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، سنة: 1407 هـ/ 1987 م .
17- صحيح البخاري، دار ابن كثير،بيروت،ط: 3، 1407/ 1987، ت: د مصطفى ديب البغا.
18- صحيح مسلم، دار الجيل - بيروت و دار الأفاق الجديدة - بيروت .
19-بحث بعنوان: قضايا معاصرة -التفسير البياني للقرآن-، د. محمد يونس، نشر في موقع " البيان" بتاريخ: 25 نوفمبر 2001 .
20- القاموس المحيط، الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، ط: 8، سنة: 1426 هـ/ 2005 م .
21-مقال: كيف نتعامل مع القراءات القرآنية – الدكتور عبد الحليم قابة، مجلة التراث العربي 107 ،
22- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط:3 .
23- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:1، سنة: 1399هـ/ 1979م .
24- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار النشر : دار الدعوة .

25-مقال: المنهج القويم للتفسير العلمي في القرآن الكريم، لأحمد عطا عمر، نشر في ملتقى أهل التفسير بتاريخ: 24/03/1428 -.

26-مقال: التجديد في التفسير- مادة ومنهاجا - :جمال أبو حسان، نشر في ملتقي أهل التفسير بتاريخ: 1426/02/20 - 2005/03/31 .

27-مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د مساعد الطيار،دار المحدث للنشر والتوزيع الرياض، ط: 1، سنة: 1425 .

28- المحرر في علوم القرآن، د مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: 2، سنة: 1429 هـ - 2008 م .

29-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة: 1420هـ- 1999م .